الكرم والبخل في شعر ابن الخياط الدمشقي

أ.د. محمود شلال حسين القيسي

mahmoodshalal450@gmail.com

الباحثة/ ميامي حسين جسام

miamihussein954@gmail.com

الجامعة العراقية/ كلية الآداب

Generosity and miserliness in the poetry of Ibn al-Khayyat al-Dimashqi

Prof. Mahmoud Shallal Hussein Al-Qaisi (Ph.D.)
Researcher Miami Hussein Jassam
Al-Iraqia University/College of Arts

المستخلص

شكلت دراسة ثنائية(الكرم/البخل)، اهمية كبرى، كونها تعد قيمة أقتصادية مهمة، مما عبرت الثنائيات المتضادة عن عمق الواقع الذي عاشه به الشاعر، فقد اتخذت من التضاد وسيلة في منح النص الشعري قوة جمالية وأسلوبية، كاشفاً بذلك عن ماهو مضمر في ذات الشاعر، واظهار علاقات المجتمع المتناقضة، وقيمة المتباينة، لذا، فقد تناولت في هذا البحث ثنائية الكرم والبخل في قصائد الشاعر ابن الخياط، فهي واحدة من اهم الصفات والقيم الخلقية الرفيعة، التي امتازوا بيها العرب عن غيرهم من الامم الاخرى، من اجل تثبيت وتعزيز قيمة الكرم والجود في المجتمع ،وفي المقابل ذلك نفي وترك كل ما يتعلق بقيم البخل المنبوذة .

الكلمات المفتاحية: الكرم، البخل، ابن الخياط الدمشقي

Abstract

The study of the dichotomy of (generosity / miserliness) was of great importance, as it is of significant economic value, which expressed the opposing dualities of the depth of the reality in which the poet lived. The poet, and to show the contradictory relations of society, and the value of the variance, therefore, I dealt in this research with the dichotomy of generosity and miserliness in the poems of the poet Ibn Al-Khayyat. Generosity iin society, and on the other hand, denying and leaving everything related to the rejected values of miserliness.

Keywords: Generosity, miserliness, Ibn al-Khayyat al-Dimashqi

المقدمة

تعد قيمة الكرم والجود من القيم المحمودة التي تغنى بها الشاعر العربي، وصور البخل بأبشع الصور ومقته، فالكرم يعد أحد المفاهيم التي اتفق عليها العلماء والفلاسفة ، كونها صفة من الصفات الحميدة المحببة للنفس، ونحن في صدد هذا البحث، نجد ان ابن الخياط عمل على اظهار كرم وجود ممدوحه من الملوك والأمراء، في مقابل ذلك اظهر بخل الدهر عليه، بسبب ظروف العيش الصعبة، وأيضا بخل الأصدقاء.

من هنا، تم اختياري دراسة الثنائيات المتضادة في شعر ابن الخياط الدمشقي الذي وجد في التضاد وسيلة للتعبير عن الحياة العباسية في أوجهها المتناقضة، بأسلوب إيحائي مجازي؛ ليكشف عن منظومةٍ فلسفيةٍ فكريةٍ حياتيهٍ متكاملة، ترتكز على التضاد وتضيء حقبةً زمنية شهد فيها الشعر تطورًا ملحوظًا .

وقد سار هذا البحث على وفق المنهج الوصفي التحليلي، الذي تناول شعر ابن الخياط تحليلًا ووصفًا للأبيات الشعرية ، شارحًا أبعادها الدلالية والمعجمية والإيحائية ، كاشفًا ما تحمله من رؤيةٍ خاصةٍ الى الحياة والناس والمجتمع الجديد .

الكَرَم /البُخل

يُعدُّ الكَرَمُ قيمةً إيجابيَّةً محمودةً، في حينِ أَنَّ البخلَ قيمةٌ سلبيَّةٌ منبوذةٌ، إذ عملت الثنائيَّات المتضادَّة (الكَرَم ضَدّ البُخل) على إظهار القيّم الإيجابية والقيم السلبية من أَجل تثبيت وتعزيز الأُولَى ونفي الثنائية وإسقاطها[١]، إلَّا أَنَّ الحالةَ الاقتصاديَّة للمرء قد تحكم عليه ببعض السلوكيَّات، إذ إن البُخلَ أَحيانًا قد تفرضُه ظُروفٌ اقتصاديَّة قاهرة مرتبطة بمرارة الفقر.

والكرم أَحدُ المفاهيم التي اتفق عليها الفلاسفة والعلماء، كونه سمة فطريَّة محبَّبة تنتمي إلى الخصال الأَخلاقيَّة والفضيلة لا الرَّذائل، " فالجُود شيمة وخلق"[٢]، وكلُّ امرئ اتسم بها يتركُ تأثيرًا إيجابيًا على المحيطين به، في حين يترك البخل تأثيرًا سلبيًا.

تختلف النظرة لطرفي هذهِ الثنائية، وذلك بحسب ثقافة كلِّ شخص، وطريقة تعامله مع الآخرين، فضلًا عن ظروفه الاقتصادية من جهة، والمعايير الاجتماعية السائدة في غير بيئة من جهة ثانية؛ إذ إنَّ الكرمَ لا يقتصرُ فقط على الماديات، إنَّما ينحسب إلى الأُمور المعنوية، أَي أَنَّها مرتبطة بكرم المشاعر وطريقة التصرف مع الآخرين... وكذلك في ما خصَّ البخل؛ فإنَّ الإنسان البخيل ليس بخله بالمال فحسب، إنَّما بخيل المشاعر، وبخيل بإعطاء معلومةٍ أَو نصيحةٍ أَو أَيِّ مساعدةٍ معنويةٍ أُخرى... لذلك أَيًّا يكن فالبخيل صفة يستوجب الذَّم[٣].

وهكذا عُدَّ الكرمُ نقيض البخل، و " أَينَما وجد الكرم والافتخار به وجد على النقيض مباشرة ازدراء البخل وذمه، فهما متلازمان[٤].

الكريم اسم من أَسماء الله الحسنى، والشخص الكريم هو المعطي، والجواد، هو الذي لا ينفذ عطاؤه[٥]، والكريم هو الذي يعطي بسهولة[٦]، وقد قيل: " لا يكون الشجاع إِلَّا جوادًا"[٧]، أَمَّا البخل ضدُّ الكرم، " وهو الإِمساك بما عندك، وأَصلُهُ مشقة الإِعطاء"[٨].

والبخل ايضًا هو " إِمساك المقتنيات عمَّا لا يحلُّ حبسها عنه وضده الجود"[٩]، كما أَن " التنوع الدلالي المعجمي للتعريفات المختلفة للكرم، السخاء، الجود، هي من طبيعة دقيقة تركيبية في المعيار الذي يجمع التصرف في الكفاءة العاطفية"[١٠].

ويرتبط مفهوم البخل بالشحِّ والتقطير، ويستعمل بعضهم كلمة "الحِرص" التي يلجأ إِليها تجميلًا لصورة البخل في عيون الناس، وقد حدثنا الجاحظ عن " أَنَّ الناسَ يختلفونَ في مدلولات الكلمات التي تشير إِلى البخل، فالبخلاءُ نعتوا البخل إِصلاحًا، وأَسموا الشحَّ اقتصادًا، ودافعوا عن المنع وأَسموه الحزم"[١١].

فقد ذكر الدكتور طه حسين في كتابه عن بخل العرب وحرصهم الشديد على الأَموال، وعرض آيات من القرآن الكريم، لتصور بخلهم وحبهم لكثرة الأَموال[١٢].

لذا فإِنَّ قيمة الكرم من القيم المحمودة التي تغنى بها العربي منذ القدم؛ فقد صوَّر الشعر العربي البخل ومقته، في مقابل ذلك حدثنا التراث العربي عن اهتمام وتعلُّق العرب بالكرم، وهي تعدُّ واحدة من القيم والصفات الخلقية الرفيعة مما تتميَّز بها العرب عن غيرهم من الأُمم الأُخرى[١٣]، إِذ عدّ الكرم أَحد الخصال الحميدة التي يتمتَّع بها الفردُ فضلًا عن القبيلة التي ينتمي إِليها، وهو منقبة من مناقب الأَصيل، إِذ يعكس جميل أَخلاقه وصفاته، فضلًا عن أَنَّه قيمة وجودية، إِذ وجب على أَيِّ إِنسانٍ أَن يُحسن الضيافة ويكرم من دخل داره وداس بساطهُ؛ لذا يعد "

الكرم العربي سلوكًا في الحياة العربية وفلسفة في الوجود وسمة مميزة " للطبيعة" العربية"[١٤].

فالجاهلي كان يضيِّف التائهَ في الصحراء، ويؤمِّن له المأوى والمأكل ويذبح له ناقته، وللضيف حقُّ الاستضافة والإكرام لمدة ثلاثة أَيَّام، من دون أَن يُسأل عن مدةِ مكوثه أَو وجهته، كي لا يشعر بأَنَّه غيرُ مرحَّب به، وقد وجدنا أَنَّ الشعر الجاهلي يتحدث عن البخل كما يتحدث عن الكرم، ممَّا عابوا بعض الناس وتعيروا بالبخل، لذلك نفر منه الكثير من الناس[١٥]، لذا نجد " في القرآن إِلحاحًا في ذَمِّ البخل وإِلحاحًا في ذم الطمع، فقد كان البخل والطمع إِذن من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الجاهلية"[١٦].

وعندما أَشرقَ نورُ الإِسلام حرص على بثِّ روح الأُلفة والمحبَّة والأُخوَّة بين المسلمين، فدعا إِلى " التضامن والتكافل متخذًا من الكرم وسيلة لتحقيق أَهدافه ومآربه، مستغلًا بعض عادات العرب التي استقرت في نفوسه – بعد أَنْ قامَ بتهذيبها – للوصول إِلى مبتغاه، ومنها إِكرامُ الضيف، وتقديم الطعام للمحتاجين على اختلاف أَطيافهم"[١٧]، فقال الله في كتابه الحكيم:ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ [١٨].

وقد تغنى الشعراء بالكرم ونظموا حوله أَجمل الأَبيات، فإِذا أَراد غير شاعر أَن يمدح ملكًا مُعينًا يصوغ بحقه أَجمل الأَبيات التي تصف كرمه وجوده، فيشبِّهه بالغيث مثلًا... وإِذا أَراد أَنْ يذمَّ ملكًا ينعته بالبخل، لأَنَّه من أَكثر القيم المنبوذة، ممَّا أَظهر الشعراء تمسكهم في شعرهم على إِظهار الكرم، لأَنَّهم تربوا على ذلك، في حين أَنَّ " الشعراء يصرُّون على إِنَّ ظاهرة اللُّؤم هذهِ لم تكن في محلِّها مهما كانت الدوافع، ويؤكِّدون على السلوك الذي ليموا عليه غير آبهين بما يُقال لهم"[١٩].

لذا، شاعت ثنائية الكرم والبخل في قصائد الشعراء العرب، وحضر الكرم في سبيل غرضي الفخر والمديح في حين أَنَّ البخل ورد في سبيل غرض الهجاء وذم الآخرين(٢٠).

كما " نظر الشعر إِلى قيمة الجود بعين الحسبان والتقدير"(٢١)، فعلى مرِّ الأَزمان والعصور، حفل المثال لا الحصر، ما أَورده زهير بن أَبي سلمى الذي تغنى بكرم ممدوحه، إِذ قال: (من الطويل):

وأَبــيضُ فَيَّــاضٌ يَــداهُ غَمَامَــةٌ على معتفِيهِ، مــا تَغــبُ فواضــلُهُ

***

تــــــراهُ إِذا جِئتُــــــه متهلِّلًــــــا كأَنك تُعطيه الذي أَنــتَ ســائلُه(٢٢)

***

لا شَكَّ في أَنَّ هذا المقطع الشعري يقدِّم صورةً فريدةً تكشفُ عن مدى كرمِ الممدوح الذي يفيض عطاءً للسائلِ والطالب، وقد شبَّه الشاعر يديه بالغمامة التي تجود غيثًا وعطاءً للمتعففين أي القاصدين نواله ومعروفه، ثم انه يعطي ولا تنقطع **(ما تَغبُ)** عطاياه .

كما " اختلفت نظرة الشعراء العباسيِّينَ إِلى الكرم بالجاه بوصفه مظهرًا من مظاهر الكرم المعنوي، فمنهم من فضَّله على الكرم المادي، وعدُّوا الجودَ بذل الجاه، لا بذل المال"(٢٣).

ومن جميل صور المتنبي، تصويره لممدوحه الذي يرى البخل صورة من صور الجبن، في قوله: (من البسيط):

هُوَ الشجاعُ يعدُّ البُخلَ مِــن جُــبنٍ وُهَو الجوادُ يعدُّ الجُبنَ من بخلِ(٢٤)

***

والجدير بالذكر، إن البخل سمة متلازمة في النفس البشرية فإنَّ الكثير من المجتمعات عانت منها وعلى مرِّ العصور... ويكشف الدارس لأَشعار العصر العباسي، في القرنين الثاني والثالث الهجريين، " ازديادًا ملحوظًا في وصف الشعراء لهذهِ الظاهرة التي انتشرت ويعود هذا الانتشار إِلى التغيير الذي حلَّ في مظاهر الحياة بفعل انتقال الخلافة إِلى بغداد، وما رافق هذا الانتقال من انقلاب في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية"[٢٥].

والحديث عن هذهِ الثنائية في الشعر العربي، لا يعدُّ ولا يُحصى، لكثرة النماذج التي وصلت إِلينا منذ القدم، فالكرم والبخل كانا متلازمَينِ لا يفارقان نظرةَ العربيِّ للحياة والوجود، وكان لابنِ الخيَّاط نصيبٌ وافرٌ منها في مقطوعاته الشعريَّة، إِذ استحوذت على كثير من قصائده، وعبَّر عنها بصور شتَّى، منها بشكل مباشر وصريح، ومنها عن طريق الإِيحاء والإِيماء، ما خلق صورًا فنيَّة تحمل في طيَّاتها جمال المعنى والتصوير معًا.

يُعبِّر ابنُ الخيَّاط في إِحدى قصائده عن صراعٍ نفسيٍّ يعيشُه بينَ كرامته وبين التنازل للباخلين من أَجلِ الحصول على لقمة العيش وفي ذلك يقول: (من الطويل)

مُنِيتُ بِبَيْعِ الشِّعْرِ مِن كُلِّ باخِلٍ ... بِخُلْفِ مَواعِيدٍ وزُورِ أَمانِي

***

ومَن لِي بِأنْ يُبْتاعَ مِنِّي وإنَّما ... أُقِيمُ لِماءِ الوَجْهِ سُوقَ هَوانِ

***

إذا رمتُ أَن أَلقى بِهِ القومَ لم يَزَل ... حيائي ومَسُ العُدمِ يَقتَتِلانِ

***

أَخافُ سُوالَ الباخِلِينَ كأَنني ... مُلاقِي الوغى كُرهاً بِقلبِ جَبانِ

أرَى الرّزقَ أمّــا العَــزْمُ مِنِّــي فَمُوشِــكٌ إلَيْــــهِ وأمّـــا الحَـــظُّ عَنْـــهُ فَـــوانِ

***

وهَـــلْ يَنْفَعَنِّـــي أنَّ عَزْمِـــيَ مُطْلَـــقٌ وحَظِّـــي مَتَـــى رُمْـــتُ المَطالِـــبَ عَـــانِ

***

وقَــد يحــرمُ الجلــدُ الحــريص مرامــهُ ويعطـــى منـــاهُ العـــاجزُ المتـــواني[٢٦]

***

في هذا المقطع الشعري، يلجأ ابنُ الخيَّاط إلى توظيف ثنائية التضاد (الكرم/البخل)، وهي تحمل دلالات عميقة، تتَّسم بالحضور والغياب، وقد تجلَّيا عبرَ المعاني التي تتخفى وراءَ الأَلفاظ فتحمل معاني أَكثر دلالة وعمقًا، إذ تجلَّت الثنائية بصورة مباشرة تارةً وبصورة إيحائية غير مباشرة تارةً أُخرى، لذلك أَصبحت مقتضيات ودلالات التلميح في التضاد أَوسع وأَشمل بلاغة من التصريح نفسه،" حيث تكون الثنائية في مواجهة إنتاجٍ صياغيٍّ له إنتاج دلالي موازي لهُ تمامًا"[٢٧].

من الأَلفاظ الدالة على البخل: " (باخل، الباخلين، الحريص)، أَمَّا الأَلفاظ الدالة على الكرم فقد وردت بصورة غير مباشرة ومنها: " يبتاع مني، يعطي مناه".

يسلِّط الشاعر الضوءَ على الظروف التي تدفع الشاعر إلى الوقوف على أَعتاب الملوك والأُمراء لنيل استحسانهم بقصائد مدحيَّة، علَّهم يجودون عليه بفائض كرمهم، وهذا ما يدفعه أَحيانًا إلى أَنْ يحوِّل شعرَه إلى وسيلة تكسّب، تكيل المديح بحق هذا الملك أَو ذاك، وتتضمَّن القصيدة ما يرفع من شأن الممدوح وإن كان لا يستأهل ذلك... وهكذا، يحول الشعر إلى مجرد وسيلة عيش قد لا ينطق صدقًا إنَّما تزلُّفًا لنيل حاجة ما في نفس مطلقها، ما يعني أَنَّ الشِّعر ينبغي أَنْ يكون صادقًا، وقد

قال الشاعر الفرنسي مالارمية: " إنَّ الشعرَ لا ينبغي إذن أَن يشكَّل من كلمات، ولكن من أَحاسيس، وكلُّ الكلمات تمحى أَمام الأَحاسيس"[٢٨]، وعندما يتحول إِلى وسيلة للتكسب يخسر رونقه ورسالته السامية.

وابن الخياط، بسبب ظروفه الاقتصادية الصعبة، اضطر الى التكسب من شعره ليحسن وضعه المادي، ويكشف في قصيدته أنه كان عزيز النفس وحريصًا على الحفاظ على ماء وجهه، إِذ لا يمدّ يدَّه لأَحد، ولا يتسوَّل العطاء، وهذا ما يكشفه قوله: " أَخَافُ سُؤالَ الباخِلِينَ" وقوله: " أُقيمُ لماءِ الوجهِ سوقَ هوانِ" و" حَيائي ومَسُّ العُدمِ يَقتتلانِ"، ما يعني أَنَّ الشَّاعر كان يعيش صراعًا داخليًا بينَ فقرة وحاجته إِلى المال وشعوره بعزَّة النفس والإِباء، وهذا ما يمنعه من سؤالِ الباخلين والشاعر بذلك يرجو أَن يكون عطاء الملوك له نابعًا من قرارٍ ذاتي، فيجزلون له العطاء من دون أَن يشعروه بالمنِّ.

وابنُ الخيَّاط يكره السؤال والطلب في قوله: " ملاقي الوغى كرها بقلب جبان"، وفي هذا التصوير نوع من التشبيه الضمني، فهو يشبه نفسه بمقاتل يخوض معركة بقلب جبان، أَي أَنَّ وقوفه على أَعتاب الملوك يشعره بالخجل والحياء لأَنَّ عزة نفسه تمنعه وبشكل مطلق من مدَّ اليد، وهو بذلك يتطرق إِلى ظروف حياته الصعبة من خلال حديثه عن الحظ السيء الذي لازمه، ما يعني أَنَّ الشاعر يحمل في ذاته رغبات كثيرة ويتمنى أَن تجود عليه الحياة بالكرم والعطاء، إِلَّا أَنَّه مني بحظ عاثر حوله إِلى متسوّل على أَعتاب الملوك الذين لا يقدرون موهبته وفيض إِبداعه، إِنَّما يبخلون عليه بأَهون ما يكون، ويقابل بالمنح والجحود من ممدوحه.

والشاعر يسلِّط الضوء على كرم أَحدِ ممدوحيه من قبيلة بني عمَّار، ويجعل منه عنوانًا للكرم والبذل والعطاء، وفي ذلك يقول: (من البسيط)

ويَخْطِرُ الغَيْــثُ مُــنْهَلاً فَيَشْــغَفُنِي أنِّي أرى فِيهِ مِن أخْلاقِكُــمْ طَرَفــا

***

أعْدَيْتُمُ يــا بَنِــي عَمّــارَ كُــلَّ يَــدٍ بِالجُودِ حتّى كَأنَّ البُخْلَ ما عُرِفا[٢٩]

***

تتجلَّى في النَّص الشعري هذا ثنائيَّة ضديَّة وهي (الكرم/ البخل) وهذين الطرفين تمثل كلاهما عددًا من الدلالات اللَّفظية، وظَّفها الشاعر بأُسلوب مباشر، وقد تجلَّت في العبارتين: " الجود" – أَي الكرم، و" البخل" ".

لجأ ابنُ الخيَّاط إِلى التشبيه في وصفه لجود ممدوحه وذلك في قوله: " يخطر الغيث منهلا" فبنو عمار مثال للكرم والسَّخاء، لدرجة أَنهم لم يتركوا يدًا امتدت إِليهم إِلَّا ومنحوها من فيض جودهم.

وقد أَشار الشاعر إِلى الانعكاس النفسي وتأثير الكرم على سمعة صاحبه، وهذا ما يعود بنا بالذاكرة إِلى حياة العربي وعاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية، فمعيار الكرم مهم جدًا في الاضاءة على سلوك العربي ونمط حياته وطريقة تفكيره. وهذا النص في بنائه اللغوي البسيط يرتبط أَشدَّ الارتباط بظواهر اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ للإِنسان.

وهناك بعض الأَمور التي ينبغي الوقوف والإِشارة إِليها في قضية (الكرم– البخل) في شعر ابنِ الخيَّاط ممَّا تميز شعره، فإِن كفة الصراع الدائمة ترجح انتصار إِرادة الكرم والعطاء على الطرف الآخر وهو البخل، والسبب في ذلك يرجع إِلى أَهميَّة تلك الصفة وقبولها وتناسبها مع المجتمع ممَّا جعلها خالدة مع الزمن[٣٠].

وبهذا فكلَّما كان الإنسان جوادًا كريمًا، اكتسب سمعة طيبة، وصورة حسنة تعكس حسن الأَخلاق وترفع النفس، وقد أَجاد الشاعر التعبير عن كرم بني عمَّار مستعملًا أُسلوب المبالغة الذي تجلى في الشطر الثاني من البيت الثاني بقوله: " حتَّى كأَنَّ البُخلَ ما عُرفا" ما يعني أَنَّهم لم يعرفوا معنى البخل أَو الحرص لشدَّة كرمِهم وعطائهم.

وفي بحثنا عن توظيف الشاعر ثنائية (الكرم، البخل) المتضادة، نلمَح في شعره ما يمثل الصراع بين رجاء النفس في معاشرة الكرماء لتحصل على ما يجودون به عليها، وبين صدّ البخلاء الذين يكرسون ثقافة قبض اليد ومنع العطاء، ممَّا أَدَّى ذاك إلى إدخال ظاهرة البخل وسط صراع عنيف مع جميع محاور القيم الأَخلاقية العربية الرفيعة أَلَا وهو الكرم(٣١). من جميل ما صوره في هذا المجال قوله: (من الكامل).

وقَدْ نادى النَّدى هَـلْ مِـن رَجَـاءٍ وقَـالَ النَّيْـلُ هَـلْ مِـن مُسْـتَنِيلِ

***

ولَـمْ أرَ قَبْلَـهُ أمَلًـا جَـوادًا يُشارُ بِـهِ إلـى عَـزْمٍ بَخِيـلِ (٣٢)

***

يُكرِّس الشاعر، في المقطع الشعري السابق، ثنائية الكرم والبخل بأُسلوب مباشر وصريح، وقد تجلت في عبارتي: " جواد" و" بخيل" وبأُسلوب إِيحائي فني في قوله: " نادى الندى هل من رجاء؟" و" وقال النيل هل من مستنيل؟".

يلحظ لجوء الشاعر إِلى توظيف براعة التصوير للتعبير عن جمال المعنى، إذ نلمح امتزاج التعبير الاستعاري مع الأُسلوب الاستفهامي الإنكاري ممزوجين بإيقاع التوازن والإِيقاع الداخلي، وسنوضح ذلك في الترسمية الآتية:

وقد نادى النَّدى هَلْ مِنْ رجاءٍ
وقالَ النيلُ هلْ مِنْ مُستنيلِ
} التوازن في الشطر الأَوَّل والثاني من البيت الأَوَّل

فكل شطر يحتوي على: فعل (نادى، قال) + فاعل (الندى، النيل)+ أداة الاستفهام (هل) + حرف الجر (من) + الاسم المجرور (رجاء، مستنيل)، ممَّا خلق جرس موسيقيًا، يعبر عن إِبداع الشاعر في تشكيل المعنى، ممَّا يجمع بين الإِبداع الجمالية للنص والدلالية.

وقد وظَّف الشاعر الاستعارة التصويرية محولاً الندى والنيل إِلى شخصين يستنجدان ويطلبان الكرم وجزيل العطاء، ما يكشف خلجات النفس ورغبتها في التعبير عن المكتوم عنه بأُسلوب تصويري فني، بعيدًا من التصريح المباشر، وهذا ممَّا جعل تلك الأَنساق الاستعارية " تتصدر بشكل كبير بنية الكلام الإِنساني، إِذ تُعدُّ عاملًا رئيسًا في الحفز والحث وأَداة للتعبير، ومصدرًا للترادف وتعدُّد المعنى، ومتنفسًا للعواطف والمشاعر الانفعالية، ووسيلة لملأ الفراغات في المصطلحات"(٣٣) وهو بذلك يوظَّف التضاد في المعنى، مظهرًا الفرق بين الجواد والبخيل، فالكريم يجود بما تطيب به أَنفُس الآخرين، وترجوه آمال المحتاجين، بينما البخيل مناع للخير، لا تألفه الأَنفس ولا تطيب بمعاشرته لأَنَّه حريص على ادِّخار كلِّ ما يناله ويجمعه، ويحمل شعار " أَلَا هَل مِن مَزِيدٍ؟" وهكذا، تتقابل صورة الكريم الذي يُلبِّي نداءَ الكرم، وصورة البخيل الذي يحرص على جميع المال من دون إِنفاقه، ليتحوَّل النَّص إِلى بؤرة مركزية تصور أُنموذجين من البشر، الأُنموذج الأَوَّل: الكريم والمعطاء، والأُنموذج الثاني: البخيل الحريص، ما يختصر صورة الحياة التي تجمع

التضاد والاختلاف في طبائع البشر وأَخلاقيَّاتهم، وهذا ما يشحن القصيدة بطاقة إِيحائية تنسج الموالمة بين الشكل والمضمون، التصريح وإِلايحاء.

ويظهر الحضور والغياب جليَّلَينِ في شعر ابنِ الخيَّاط، تكشفاه ثنائياته التضادية التي تكشف عن نفسها تارةً، وتفهم من خلال السياق تارةً أُخرى، ممَّا تعطي قوةً للتضاد الحاضر في هذا النَّص، ويصبح تأثيره أَقوى عند المتلقي، لذك فإِنَّ التضاد الواقع بين طرفي الكرم / البخل يكاد لا يخلو من التفاتات شعرية جميلة تمنح التضادَ لونًا مميزًا في بعض الأَحيان، وفي حديث الشاعر عن كرم ممدوحه ينشد قائلًا: (من الخفيف):

تُنْذِرُ النّائِباتُ أَنْفُسَها مِن ... هُ بِخَصْمٍ لِلنّائِباتِ أَلَدِّ

***

جاعِلٍ مالَهُ طَرِيقًا إِلى الحَمْ ... دِ فما يَأْتَلِي يُنِيرُ ويَسْدِي

***

فَقَراهُ سارٍ إِلى كُلِّ سارٍ ... ونَداهُ وفْدٌ عَلى كُلِّ وفْدِ

***

يُومُهُ فِي النَّدى بِعامٍ مِنَ الغَيْ *** ثِ إِذا قَلَّ مَن يَجُودُ ويُجْدِي

كَـــرَمٌ شـــافِعٌ بِناصِـــيةَ الفـــقْ رِ وجُـــودٌ عَلـــى النَّوائِـــبِ مُعْـــدِي

***

ويَـــدٌ أغْنَـــتِ المُقِلِّـــينَ حَتّـــى ما تَرى فِـــي الأنـــامِ طالِـــبَ رِفْـــدِ

***

جادَنِي مِـــن نَـــدى عَلِـــيٍّ سَـــحابٌ مُسْتَهِلٌ بِغَيْـــرِ بَـــرْقٍ ورَعْـــدِ (٣٤)

***

يتركُ الشاعر البابَ مفتوحًا على كرَم ممدوحه، وهو لا يكشف عن ذلك باللَّفظ المباشر، إنما يترك المتلقي يستنتج ذلك من تلقاء نفسه ليتعرف إلى صفات الممدوح من خلال تصرفاته وأفعاله، ما يعني أنَّ الثنائيَّات الضديَّة (الكرم/ البخل) يمكن صوغها بعد تجميع تراكيب المقطع الشعري السابق وألفاظه ومعانيه، والمعنى بذلك يلمِّح إليه عبر إشاراتٍ لغويةٍ وصورةٍ فنيةٍ عزَّزت المعنى المراد، ممَّا يعطي للثنائيَّة الضديَّة جماليَّة وأبعاد واسعة عن طريق اشتقاقات الرُّؤية النقديَّة لها ممَّا أصبح " الغيابُ أشدَّ حضورًا من الحضور في النص الأدَبي"(٣٥)، من هنا، يمكن استخراج الألفاظ والتعابير الدالة على كرم الممدوح ومنها: " نداهُ وفدٌ على كلِّ وفدٍ"، الندى، الغيث، كرم شافع، يد أغنت، جادني من ندى"، أما ما دلَّ على البخل فقوله : " قلَّ مَن يجودُ ويُجدي".

تتشكل الصور الدالة على كرم الممدوح، وتأتي أهميَّة الصور لأنَّها تفرض " على المتلقي نوعًا من الانتباه واليقظة، ذلك أنَّها تبطئ إيقاع التقائه بالمعنى" (٣٦)، كاشفة بذلك قيمة الحسنة في مدِّ يد العون إلى المحتاجينَ، فعندما تحضر النوائب والمصائب لا يجد الشاعر سوى ملاقاة الممدوح والتوجه إليهِ، فهو الوحيد القادر

على حلِّ مشكلته ومساعدته، وخير من يلجأ إِليه شاعرنا من فتح باب قلبه وأَجاد بالعطاء، برقة العطوف وكرم الصالحين وجودهم.

والممدوح جزيل الحمد والشكر لله تعالى، على ما أَفاض عليه من نِعمٍ كثيرةٍ وقد قال تعالى: ﴿ ﴾ (٣٧)، ما يعني أَنَّ الشاعر يظهر استحقاق غنى الممدوح الذي أفاض الله عليه بواسع رزقه لأَنَّه يساعد المحتاجين ويشكرُ اللهَ ويحمده، ولا يبخل على الفقراء بمال، وهذا ما يذلل صعابهم في ظلِّ ظروفٍ اقتصاديةٍ خانقةٍ، تقلب حياة الفقير والمعدم إِلى جحيم لا يطاق، وقد صور الشاعر كرم ممدوحه الذي لا حدَّ له بقوله: "ونداه وفد على كل وفد"، مصوراً بذلك سبق جوده في الوفود التي تقصده من كلِّ صوبٍ، حتَّى إِنْ لم تكن جاءت لطلب شيء.

ولا شكَّ في أَنَّ تكرار مفردة (وفد)، لتأكيد التضاد الذي يلمسه القارئ واقعًا، فالممدوح غني، ذو مالٍ كثيرٍ، إِلَّا أَنَّ تصوير الجموع التي تقصده بالوفود، دليلٌ على أمرين:

أَوَّلًا: وجود شريحةٍ واسعةٍ من الناس الفقيرة في مجتمع الشاعر آنذاك.

ثانيًا: ثقة الناس بالملك الذي يقصدونه؛ فلولا أَنَّهم يعرفونَه بأَنَّه كريم ويفتح باب قصره لكُلِّ سائلٍ ومحتاج، ما كان تجرأَ الناس على التوجه إِليه لطلب المساعدة، وفي كلا الحالتين يكشف الشاعر عن مرادِه بأُسلوب غير مباشر، فالباب المفتوح الذي يستقبل الوفود كناية عن الكرم المعنوي والمادي.

لذلك فإِنَّ أَيَّ فقيرٍ خانه الدهر وقست عليه ظروف الحياة، وصادف بخل الأَيام والدار والناس معًا، ليس عليه إِلَّا أَنْ يدوس بساط ذلك الممدوح الذي يجود

عطاء لكُلِّ من يقصده، " وليس يعدم من يديم النظر في الاستعمالات المجازية لمشتقات الدهر أَن يكتشف ظلال المعاني القوة والغلبة التي تحيط بها، مثل: القهر والشدة"(٣٨).

وفي لجوء الشاعر إِلى ذكر الحواس وتصويرها في إِطار الكم، إِشارة واضحة إِلى أَنَّ مفرداتِ النَّص تبطن دلالات غير معلنة، منها قوله: " يد أَغنت"؛ فيد الملك ممدودة تمنح الآخرين، ولكن هذا المنح ليس عاديًا، إِنَّما جاءَ موسومًا بصفة " الإِغناء" وهذا ما يثير دلالة سعة كرم الملك الذي لا يكتفي بإِعطاء القليل، إِنَّما يجود جودًا كبيرًا على المحتاجين ما يغنيهم ويحسن حالهم الاقتصادي.

ينتقل الشاعر بعد ذلك من تصوير العلاقة العامة بين الممدوح والوفود (الملك/ وهم) إِلى تصوير العلاقة الشخصية بينه وبين الملك، وهذا ما كشفه البيت الأَخير، الذي لجأ فيه الشاعر إِلى استعمال ضمير المتكلم، معبِّرًا عن تجربة شخصية، ومعترفًا بحسن الجميل، وقد أَومأ إِلى خصلة يتمتع بها الملك فضلًا عن كرمه، هي " الكَرَم في السِّر" وقد عبَّر عن ذلك بأُسلوبٍ كنائيٍّ غير مباشر، وذلك في قوله:

جادَني مِــن نَــدى علــيٍ ســحابٌ مُســـتهلٌ بغيـــرِ بـــرقٍ ورعـــدِ

***

وظَّف الشاعر هنا السحاب في إِشارة لكرم الملك. وقد استعان بالبرق والرعد، وهما رمزان طبيعيان يحملان معنى الوضوح، فالبرق يُرى بالعين المجردة، والرعد صوته هادر يسمعه الجميع، إِلَّا أَنَّ الملك يجود ويتستر على أَفعاله الخيرة، فلا يعلن أَمام الملأ ما يمنحه للناس، ولا يجاهر بالكرم لأَنَّ في ذلك تعبيرًا عن أَنَّ مساعدته للناس هي لغاية ما، كتحسين صورته والتباهي بكرمه... أَما وأَنَّه

يجود من دون " برق ورعد"، فها دليل على حرصه على فعلِ الخير ليكون اللهُ وحدَه شاهدًا على ذلك، لينال مرضاته ورضاه.

وابن الخيَّاط يشبع معاني المديح موظفًا التضاد والتقابل في الصور، وهذهِ الصور تعبِّر عن الروعة الجماليّة الفنيّة والأَفكار الفلسفية والمثل والقيم الإِنسانية[٣٩]، ويستمر ابنُ الخيَّاط في إِبراز دلالات هذهِ الثنائيَّة في نصوصه الشعرية بأُسلوبٍ جماليٍّ فنيٍّ يحمل فيها الكثير من الصور، وفي ذلك يقول: (من البسيط)

أأرْتَجِـــي غَيْـــرَ عَمّـــارٍ لِنائِبَـــةٍ إِذَنْ فَـــلا آمَنَتْنِـــي كَفُّـــهُ النُّوبـــا

***

المانِعُ الجارَ لُو شاءَ الزَّمـــانُ لَـــهُ مَنعًا لَضاقَ بِهِ ذَرْعًـــا وإِنْ رَحُبـــا

***

البـــاذِلُ المـــالَ مَسْـــئُولًا ومُبْتَـــدِئًا والصائِنُ المَجْدَ مَوْرُوثًا ومُكْتَسَـــبا

***

الواهِبُ النِّعْمَةَ الخَضْراءَ يُتْبِعُها أَمْثالَها غَيْرَ مُعْتَدٍّ بِمـــا وهَبـــا[٤٠]

***

يستحضر الشاعر قبيلة بني عمَّار، ونلحظُ في البيت الأَوَّل تعبيره عن طيب العلاقة بينهما؛ إِذ يقصدهم عندَما تحلّ عليه البلاءات ومسيء الأَيام، وقد وظَّف بذلك حقل الكرم الذي تجلَّى في الأَلفاظ والتعابير الآتية :

الكرم: " آمنتني كفه"، الباذل المال، الواهب النعمة"، فاليد، رمز يحيل إِلى الكرم؛ وبذل المال ووهبه يصبَّان في معنى العطاء بشكل جلي، أَمَّا الأَلفاظ الدالة

على البخل: " شاء الزمان له منعا" فكلمة " المنع" تحيل إلى البخل والحرص وعدم البذل.

ويزداد الشاعر في إعلاء شأن بني عمَّار وإبراز شجاعتهم، فهم يبذلون المال، ويساعدون الجار، ملصقًا بهم صفات تعد لصيقة بالعربي الأَصيل، فإن صفة الكرم والشجاعة قد التصقت وتداخلت في هذهِ الأَبيات، لأَنَّها تعد من الصفات الحميدة التي يحرص عليها العربي، ممَّا جعلته ينظر إليها على أَنَّه وصف لضمان نفسه، البقاء والخلود بهاتين الصفتين(٤١)، ومن ذلك:

أَوَّلًا: نجدة الملهوف ومناصرة الجار؛ ما يمنحهم منزلة سامية تشهد لهم على كرمهم في الإحساس بالآخرين ومدهم بالعون المادي والمعنوي.

ثانيًا: الابتداء بالمنح والعطاء؛ وقد تجلَّى في قوله: " مسؤولًا ومبتدئًا"، بمعنى أَنَّ الملك لا ينتظر أَن يشكوه المحتاج إنَّما يبادر في تقديم المساعدة من تلقاء نفسه، إحساسًا منه بمسؤوليته تجاه الرعية، فالناس تعيش البؤس والفقر، وعلى من يتولَّى سِدَّة الحكم أَن يكونوا خير مسؤول عن تأمين ما يؤمِّن عيشًا كريمًا لرعيتهم.

ثالثًا: العطاء في الخفاء؛ وقد تجلَّى ذلك في قوله: " غير معتدٍّ بما وهبا"، أَي أَنَّه لا يتباهى أَمام العلن بما يجود به من مال؛ وهذا يمنحه صفة الصدق في العطاء.

وهكذا، يمكن القول: يمنح الشاعر ممدوحه صفات إيجابية تشهد على حسن أَخلاقه ومنزلته السامية، ويعبِّر أَيضًا عن كرم الممدوح الذي لا يماثله فيهِ أَحد، فإنَّ غيره من الناس وحتَّى الزمان سيبدون أَمام كرمه بخلاء، وتكشف وقوفه إلى جانب الناس في ظروفهم الاقتصادية الصعبة، موظفًا الأَلفاظ التي دلَّت على الكرم بصورة مكثفة في المقطع الشعري السابق.

وتلعب دلالات الألفاظ في نصوص ابنِ الخيَّاط دورًا فاعلًا في إبراز ملامح طرفي الثنائيَّة (الكرم/ البخل) ممَّا يتضح للقارئ هيمنة دلالة طرف الكرم على نقيضه الآخر (البخل) كما يستعين الشاعر بالمبالغة أَحيانًا في تصوير جود ممدوحه، إذ ينشد قائلًا: (من الطويل)

لَنا مَجْلِسٌ ما فِيــهِ لِلْهَــمِّ مَــدْخَلٌ ولا مِنــهُ يَوْمًــا لِلْمَسَــرَّةِ مَخْــرَجُ

***

تَضَمَّنَ أَصْــنافَ المَحاسِــنِ كُلَّهــا فَلَيْسَ لِباغِي العَيْشِ عَنْــهُ مُعَــرَّجُ

***

غِناءً إلى الفِتْيانِ أَشْهى مِنَ الغِنــى بِهِ العَيْشُ يَصْفُو والهُمُــومُ تُفَــرَّجُ

***

هو البحرُ لكن عنده البحــرُ باخــلٌ هو البدرُ لكن عنده البدرُ يسمح(٤٢)

***

يبدع الشاعرُ في التعبير عن معاني الكرم، وقد بالغ في ذلك، إذ وصف الممدوح بالبحر، ربطًا بصفات الكرم والعطاء، حتَّى يبدو البحر أَمامه باخلًا مهما جاد بما يمنحه من عطايا معروفة، لذا نجد " إلحاح الشعراء على تشبيه الكريم بالبحر، بوصفه رمزًا من رموز العطاء والخير، فكثرت صورة الجواد البحر في أَشعارهم"(٤٣)، فقد وظَّف ابنُ الخيَّاط ثنائيَّة التضاد (الكرم/ البخل)، في المقطع الشعري السابق، ممَّا دلَّ على الكرم: " للمسرة مخرج، غنى، البحر"، أَما ما دلَّ على البخل، فهو استعمال الشاعر (اسم الفاعل) الصريح بقوله: " باخل" في البيت الأَخير.

كما أَجاد الشاعر استعمال الأَساليب البلاغية، إِذ وظَّف الطباق تارةً (الهم/ مسرة) فضلًا عن التكرار (هو البحرُ لكن عندهُ البحرُ) فتكرار كلمة "البحر" فيه تشديد على كرم الممدوح، وهذا في طبيعة الحال يترك ترابطًا شديدًا وواضح في بنية النَّص(٤٤)، فضلًا عن لجوء الشاعر إِلى توظيف التوازن بين البيت الأَخير، بينَ الشطر الأَوَّل والثاني، ممَّا خلق تواؤمًا بين الدلالة والإِيقاع وبنى الأَلفاظ.

هو/البحرُ/لكن / عندهُ / البحر/ باخلٌ
هو / البدرُ /لكنْ / عندهُ / البدرُ / يسمحُ

توازن يحمل دلالة المبالغة في الجود والعطاء

فإِنَّ توظيف التوازن في الصورة الشعريَّة تعمل على إِحداث تاثير في اعماق المتلقي ممَّا يجعله يستحضر تلك اللحظات ما فيها من مشاعر نفسية وانفعالات شعورية التي يمرُّ بها الشاعر، ممَّا يفتح المجال للمتلقي فرصة المشاركة في التجربة(٤٥).

تُعدُّ ثنائيَّة (الكرم/ البخل) من الثنائيات المهمة التي وظَّفها في شعره، وقد استعملها ربطًا للعلاقة بين الذات والآخر، وذلك في صور متعددة، منها قوله: (من الطويل)

مَحا الدَّهْرُ آثــارَ الكِــرامِ فَلَــمْ يَــدَعْ مِنَ البَأْسِ والمَعْــرُوفِ غَيْــرَ رُسُــومِ

***

وأصْبَحْتُ أسْــتَجْدِي البخِيــلَ نَوالَــهُ وأحْمَــدُ فِــي اللَّزْبــاتِ كُــلِّ ذَمِــيمِ

***

سِوى أنَّ مِــن آلِ الزَّرافِــيِّ مَعْشَــرًا وفَــوْا لِــيَ لَمّــا خــانَ كُــلُّ حَمِــيمِ

***

هُمُ جَبَرُوا عَظْمِي الكَسِــيرَ ولاءَمُــوا عَلى طُــولِ صَــدْعِ النّائِبــاتِ أدِيمِــي

***

مَتى خِفْتُ حالًا حــالَ بَيْنِــي وبَيْنَهــا * تَخــاطُرُهُمْ مِــن بُــزَّلٍ وقُــرُومِ**

وإنَّــكَ مِــنهُمْ يــا عَلِــيُّ لَناصِــري عَلى كُلِّ خَطْــبٍ لِلزَّمــانِ عَظِــيمِ (٤٦)

***

أَظهرَ ابنُ الخيَّاط كرم آل الزَّرافي في أَسمى صوره، إِذ لم ينحصر عطاؤُهم عند الحدودِ الماديَّة، إِنَّما تخطاهم للكرم المعنوي، فمن أَوجه السَّخاء أَن يقفَ القوي إِلى جانب الضعيف، وهذا ما عبَّر عنه الشاعر في المقطع الشعري السابق، ما يكشف رؤية الشاعر إِلى الكرم والجود، فهما لا يأتيان بمعزل عن الدَّعم المعنوي، ومن هنا فقد أَلصق صفات عدة بممدوحه "علي" الذي ناداه في البيت الأَخير ليخصه بعبارات الامتنان والاعتراف بالجميل.

يفتح الشاعر قصيدته ليشير إِلى ما لاقاه من مصائب الدهر وخطوبه؛ إِذ جانبه الدهر الذي صار خاليًا من كرام الناس، فهو لم يعد يجد في محنته من يمنحه " البأس والمعروف" كما أَنَّ لجوء الشاعر إِلى الاستعارة في قوله: " مَحَا الدَّهر آثار الكِرَام" محاولة لإِبراز عظيم صفات ممدوحه الذي تفرد عن جميع الخلق بسخائه ومعروفه إِلى جانب الشاعر في أَحلك ظروفه الاقتصادية والنفسية وبلسان الضعيف يصور الشاعر حالَه في البيت الثاني، إِذ راح يستجدِي البخيل والذميم يومَ اشتدَّت عليه " اللزبات" واللزبة " تعني الشدِّة والأَزمة والمصيبة"(٤٧)، فلم يجد ناصرًا له سوى آل الزَّرافي، فكانوا خيرَ من وفى وحمى وأَعز وناصر.

وهكذا يكشف ابنُ الخيَّاط عن كرم ممدوحه، إِعلاء من شأنهم وليجعلهم والوفاء ضوء الحياة، إِذ أَنَّهم جبروا عظمه، وهذهِ صورة بيانية تحمل في طياتها معنى بعيدًا متواريًا وهو إِعادة الحياة للإِنسان المكسور والمحبط. وقد أَدرك العربي قيمة الإِيثار السامية، بحسبانه قيمة خلقية من الأَخلاق الفاضلة التي تنمُّ عن كرم

رفيع من الناحية المعنوية، وقد أَشار الشاعر إِلى ذلك في قوله: " ولاءَمُوا على طولِ صدعِ النّائبات أديمي"، ما يكشف مروءتهم وتأصل الكرم في نفوسهم.

يلجأ الشاعر إِلى الاستفهام في البيت الشعري ما قبل الأَخير، فيسأل " متى خفت حالًا حال بيني وبينها تخاطرهم؟ " وفي ذلك تعبير عن معنى يحمل المبالغة واللامعقول، إِذ يستشعرون ضيقَه وحالَه وينجدوه بما يحملونه من مروءة وشجاعة، لعلَّ " أَهمّ المعاني

المجازية التي خرج إِليها الاستفهام في ديوان ابنِ الخيَّاط هي معاني التعظيم والتمجيد"[٤٨]، وإِعلاء من شأن ممدوحه، وقد استعان الشاعر بلفظي " بزل" و " قروم" ليكشف الفضائل الأُخرى لممدوحه، فهم إِلى جانب كرمهم وخلقهم، يتسمون بالبسالة والشجاعة، ليختم الشاعر مقطعه الشعري بتمجيد ممدوحه " علي" الذي كان نصيرًا للشاعر على خطوب الأَزمان، وفي ذلك اعتراف بجوده ورهافة نفسه بأُسلوب إِيحائي.

من هنا يمكن القول: إِن الشاعر أَجاد توظيف التضاد والتقابل في مقطعه الشعري الأَخير، موظفًا إِيَّاهما في سبيل التعبير عن تقلُّب الحياة بين شقاء ونعيم، وفقر وغنى، ووفاء وخيانة، فإِنَّ " الوفاء صفة ترادف الأَمانة، وهي صورة من صور الكرم النفسي"[٤٩]، وقد استعان بالثنائية الضدية (الكرم/ البخل) التي حضرت تارةً بأَلفاظ مباشرة، وتارةً بأَلفاظ غير مباشرة، منها:

ما دلَّ على الكرم: " جبروا عظمي، وفوا لي، لاءموا أديمي"

ما دلَّ على البخل: " محا الدهر آثار الكرام، استجدي البخيل، خان كل حميم".

وقد اتخذ الشاعر من هذهِ الثنائية وسيلة لتبيان شرف آل الزرافي، الذين أجادوا عليه، ما هون فقره وحاجته، فانقلبت ظروفه وتحولت من الشقاء الى النعيم.

الخاتمة

مما تقدم يمكننا القول ان الشاعر ابن الخياط اجاد توظيف التضـــاد والتقابـــل فـــي شعره، مما عبر عن ثنائية (الكرم/البخل)، بألفاظ مباشرة وصريحة تارة، وألفاظ إيحائية غير مباشرة تارة أخرى، قد تبين ان الشاعر ابن الخيـــاط أدرك ان كـــرم المرء لا يقتصر على الجود المادي ، إنما ايضاً على ما هو معنـــوي، فقـــد جـــاء توظيف ثنائية (الكرم والبخل) في سبيل غرضين شعر وهما (المديح والهجـــاء)، عمد المديح على كل من ناصره في ظروفه الاقتصادية الخانقة، وأداد عليه بمالـــه وروحه الطيبة، اذا هجا الخائنين من الاصحاب والاصدقاء، الذين تخلوا عنه ولـــم يسانده في محنته وظروفه الصعبة .

والمقربين في عدم مد يد العون له ،لذا سعى ابن الخياط بكل جهد عن اظهار تلـــك القيم والتعبير عنها بكل اشكالها وصورها .

الهوامش

[١] ينظر: الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، د. نضال احمد باقر الزبيدي، دار الينابيع للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠: ١١٣.

[٢] جدلية الكرم والبخل بين الشاعر وعائلته، حمدي محمود منصور، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٦٠، كانون الأول، ٢٠٠٣م، ١٦٢.

[٣] ينظر: البخلاء، الجاحظ، تحقيق، محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ٢٥٣.

[٤] مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي في كتاب المفضليات، ماهر احمد علي المبيضين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، مجلد ٢٢، عدد١، ٢٠٠٧: ٣٥.

[٥] ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل، جمال الدين بن منظور الانصاري الافريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.: ٥١٠/١٢، مادة (كرم).

[٦] ينظر: معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت.: ١٥٤.

[٧] ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م: ٣٨٠.

[٨] مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م: ٨٤/٣.

[٩] التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن مناوي، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ٧٢، مادة (بخل).

(١٠) سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، (رسالة ماجستير) كلية الآداب والعلوم، جامعة مولود معموري، الجزائر، ٢٠١٠: ١٧.

(١١) البرهان في وجوه البيان، ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: الدكتور احمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧: ٤٩.

(١٢) ينظر: في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة فاروق بمصر، القاهرة، ١٩٣٣م، ط٣، ٧٧.

(١٣) ينظر: الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، نضال احمد باقر الزبيدي، ١٠٩.

(١٤) جدلية المقدس والمدنس من خلال نادرة من نوادر " البخلاء" للجاحظ، الحبيب العوادي (بحث)، مركز الدراسات الاسلامية، جامعة الزيتونة بالقيروان ، ١٩٩٧، ١٦٢.

(١٥) ينظر: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٢م: ٢٥٧.

(١٦) المصدر نفسه:٢٥٧.

(١٧) الاستقصاء والتحليل في شيمة الكرم في الشعر العباسي، أشرف سعيد محمد شعبان، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين: ٢٠١٥: ١٣.

(١٨) سورة الإنسان: الآية: (٨).

(١٩) لمحات في الشعر القصصي في الأدب العربي، د. نوري حمودي القيسي، دار الجاحظ للنشر، بغداد (د.ط)، ١٩٨٠م: ٣٧.

(٢٠) ينظر: القيمة الخلقية في الخطابة العربية، سعيد منصور، منشورات قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩١م، ٣٩.

(٢١) مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي في كتاب المفضيات، ماهر احمد علي المبيضين: ١٥.

(٢٢) ديوان زهير بن ابي سلمى، شرحه، حمدُ وطمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م: ٥٣ – ٥٤.

(٢٣) مظاهر الكرم المعنوي والأدبي في الشعر العباسي، د. عبد الخالق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، (ورقة بحثية): ٨.

(٢٤)شرح ديوان المتنبي، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م: ٢٠٤/٣.

[٢٥] البخل في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال عبد الفتاح صوي، (رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١١م، ١.

[٢٦] الديوان: ١٩ – ٢٠.

[٢٧] البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م، ١٨٧.

[٢٨] اللغة العليا النظرية الشعرية، جان كوهين،١٥٢.

[٢٩] الديوان:٣٩.

[٣٠] ينظر: الثنائيات المتضادة في أشعار الهذليين (دراسة تحليلية)، مشتاق طالب منعم الشمري، اطروحة كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥م: ١٧٢.

[٣١] ينظر: جدلية المقدس والمدنس من خلال نادرة من نوادر " البخلاء " للجاحظ، الحبيب العوادي،(بحث)، مركز الدراسات الإسلامية، جامعة الزيتونة، بالقيروان، دار منظومة، ١٩٩٧م: ١٦٢.

[٣٢] الديوان: ٥٥.

[٣٣] الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف ابو العدوس، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٩٩٧م: ١١.

[٣٤] الديوان: ١٠٥ – ١٠٦.

[٣٥] الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم :٣.

[٣٦] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ٣٢٨، وينظر: وظيفة الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي، د. علي محمد الخرابشة، مجلة الآداب، المجلات الاكاديمية العلمية العراقية، العدد١١٠، ٢٠١٤م، ١١٥.

[٣٧] سورة ابراهيم، الآية: (٧).

[٣٨] الدهر في الشعر الأندلسي، دراسة في حركة المعنى، د. لؤي علي خليل، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ط١، ٢٠١٠م، ١٥.

[٣٩] ينظر: النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط)، ١٩٩٧م: ٤١٥.

[٤٠] الديوان: ٦٨.

(٤١) ينظر: هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، د. عبد الرزاق خليفة الدليمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م، ١٥٢.

(٤٢) الديوان: ١٩٥ _ ١٦٩.

(٤٣) الاستقصاء والتحليل في شيمة الكرم في الشعر العباسي، أشرف سعيد محمد شعبان، رسالة ماجستير: ١٣.

(٤٤) ينظر: فاعلية الثنائيات الضدية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الأندلسية، بحث مستل، رازقية كاظم عبد الجبوري، جامعة كربلاء العلمية، المجلد ١٣، العدد٢، ٢٠١٥م، ٢٠٦.

(٤٥) ينظر: وظيفة الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي، د. علي قاسم محمد الخرابشة، بحث: ١١٢.

(٤٦) الديوان: ٩٩.

(٤٧) لسان العرب: ٧٣٨/١، مادة (لزب).

(٤٨)مستويات الأداء الفني في شعر ابن الخياط الدمشقي (٥١٧هـ)، مهند حمد شبيب الفهداوي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٩م:٩٣.

(٤٩) الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والاسلام، نضال احمد باقر الزبيدي:١٦٤.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، يوسف ابو العدوس، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٩٩٧م.

٢) الاستقصاء والتحليل في شيمة الكرم في الشعر العباسي، أشرف سعيد محمد شعبان، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين: ٢٠١٥.

٣) الاستقصاء والتحليل في شيمة الكرم في الشعر العباسي، أشرف سعيد محمد شعبان، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٥م.

٤) البخل في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، جمال عبد الفتاح صوي، (رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١١م.

٥) البخلاء، الجاحظ، تحقيق، محمد التونجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
٦) البرهان في وجوه البيان، ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: الدكتور احمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.
٧) البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١، ١٩٩٧م.
٨) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن مناوي، تحقيق: د. عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٩) الثنائيات المتضادة في أشعار الهذليين (دراسة تحليلية)، مشتاق طالب منعم الشمري، اطروحة كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٥م.
١٠) الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، د. نضال احمد باقر الزبيدي، دار الينابيع للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١٠.
١١) جدلية الكرم والبخل بين الشاعر وعائلته، حمدي محمود منصور، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد ٦٠، كانون الأول، ٢٠٠٣م.
١٢) جدلية المقدس والمدنس من خلال نادرة من نوادر " البخلاء " للجاحظ، الحبيب العوادي،(بحث)، مركز الدراسات الإسلامية، جامعة الزيتونة، بالقيروان، دار منظومة، ١٩٩٧م.
١٣) جدلية المقدس والمدنس من خلال نادرة من نوادر " البخلاء" للجاحظ، الحبيب العوادي (بحث)، مركز الدراسات الاسلامية، جامعة الزيتونة بالقيروان ، ١٩٩٧.
١٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٢م.
١٥) الدهر في الشعر الأندلسي، دراسة في حركة المعنى، د. لؤي علي خليل، دار الكتب الوطنية، ابو ظبي، ط١، ٢٠١٠م.
١٦) ديوان زهير بن ابي سلمى، شرحه، حمدُ وطمّاس، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

١٧)ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

١٨)سيمياء البخل في كتاب البخلاء للجاحظ، باهية سعدو، (رسالة ماجستير) كلية الآداب والعلوم، جامعة مولود معموري، الجزائر، ٢٠١٠.

١٩)شرح ديوان المتنبي، شرحه عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٣٨م.

٢٠)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٢١)فاعلية الثنائيات الضدية في التشكيل الموضوعي في رثاء المدن الأندلسية، بحث مستل، رازقية كاظم عبد الجبوري، جامعة كربلاء العلمية، المجلد ١٣، العدد٢، ٢٠١٥م.

٢٢)في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة فاروق بمصر، ط٣، القاهرة، ١٩٣٣م.

٢٣)القيمة الخلقية في الخطابة العربية، سعيد منصور، منشورات قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩١م.

٢٤)لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل، جمال الدين بن منظور الانصاري الافريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٢٥)لمحات في الشعر القصصي في الأدب العربي، د. نوري حمودي القيسي، دار الجاحظ للنشر، بغداد (د.ط)، ١٩٨٠م.

٢٦)مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٧)مستويات الأداء الفني في شعر ابن الخياط الدمشقي (٥١٧هـ)، مهند حمد شبيب الفهداوي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٩م.

٢٨)مظاهر الكرم المعنوي والأدبي في الشعر العباسي، د. عبد الخالق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

٢٩)مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي في كتاب المفضليات، ماهر احمد علي المبيضين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، مجلد ٢٢، عدد١، ٢٠٠٧.

٣٠)مظاهر من الحياة الثقافية والاجتماعية في العصر الجاهلي كتاب المفضليات، ماهر احمد علي المبيضين، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، مجلد ٢٢، عدد١، ٢٠٠٣م .

٣١)معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت.

٣٢)النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط)، ١٩٩٧م.

٣٣)هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي، د. عبد الرزاق خليفة الدليمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.

٣٤)وظيفة الصورة الشعرية ودورها في العمل الأدبي، د. علي محمد الخرابشة، مجلة الآداب، المجلات الاكاديمية العلمية العراقية، العدد١١٠، ٢٠١٤م.

References

- The Holy Quran.

(١Metaphor in Modern Literary Criticism, Yusef Abu Al-Adous, Al-Ahlia for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1997 AD.

(٢Investigation and analysis of the theme of generosity in Abbasid poetry, Ashraf Saeed Muhammad Shaban, (Master's thesis), College of Graduate Studies, An-Najah National University in Nablus, Palestine: 2015.

(٣Investigation and analysis of the theme of generosity in the Abbasid poetry, Ashraf Saeed Muhammad Shaaban, master's thesis, College of Graduate Studies, An-Najah National University in Nablus, Palestine, 2015.

(٤Miserliness in Abbasid Poetry in the Second and Third Centuries Hijri, Jamal Abdel Fattah Soy, (Master's thesis, College of Graduate Studies, An-Najah National University, Palestine, 2011 AD.

(٥Al-Bakhlaa, Al-Jahiz, investigation, Muhammad Al-Tunji, Dar Al-Jeel, Beirut, 1st edition, 1993 AD.

(٦The proof in the faces of the statement, Abu Al-Hussein Ishaq bin Ibrahim bin Suleiman bin Wahb Al-Kateb, investigation: Dr. Ahmed Wanted, Dr. Khadija Al-Hadithi, Al-Ani Press, Baghdad, 1967.

(٧Arabic rhetoric another reading, d. Mohamed Abdel-Mottalib, The Egyptian International Publishing Company, Longman, 1st Edition, 1997 AD.

(٨Suspension on the missions of definitions, Abd al-Raouf bin Minawi, investigation: d. Abdul Hamid Saleh Hamdan, The World of Books, Cairo, 1st edition, 1990 AD.

(٩The antagonistic dichotomies in the poetry of the Huthalis (analytical study), Mushtaq Talib Moneim Al-Shammari, thesis of the College of Arts, University of Baghdad, 2015 AD.

(١٠The opposing dichotomies in the poetry of Makhdarami Al-Jahiliyyah and Islam, d. Nidal Ahmed Baqer Al-Zubaidi, Dar Al-Yanabee for Printing and Publishing, 1st edition, 2010.

(١١The dialectic of generosity and miserliness between the poet and his family, Hamdi Mahmoud Mansour, The Cultural Journal, University of Jordan, Issue 60, December 2003.

(١٢The dialectic of the sacred and the profane through a rare anecdote of "The Misers" by Al-Jahiz, Habib Al-Awadi, (research), Center for Islamic Studies, Al-Zaytouna University, Kairouan, Dar Mantuma, 1997 AD.

(١٣The dialectic of the sacred and the profane through a rare anecdote of “The Misers” by Al-Jahiz, Habib Al-Awadi (research), Center for Islamic Studies, Al-Zaytouna University in Kairouan, 1997.

(١٤The Arab Life of Pre-Islamic Poetry, Ahmed Muhammad Al-Hofy, Nahdt Misr Press, 2nd edition, 1952 AD.

(١٥Time in Andalusian Poetry, a Study in the Movement of Meaning, d. Louay Ali Khalil, National Book House, Abu Dhabi, 1st Edition, 2010 AD.

(١٦Diwan Zuhair bin Abi Salma, his explanation, Hamad and Tamas, Dar Al-Maarifa, Beirut, second edition, 2005 AD.

(١٧Rabi` al-Abrar wa Nass al-Akhbar, Abi al-Qasim Mahmoud bin Omar al-Zamakhshari, (d. 538 AH), investigation: Abd al-Amir Muhanna, the Higher Institute for Publications, Beirut, 1st edition, 1992.

(١٨The semiotics of miserliness in the Book of Misers by Al-Jahiz, Bahia Saadou, (Master's thesis), Faculty of Arts and Sciences, Mouloud Mamouri University, Algeria, 2010.

(١٩Explanation of Al-Mutanabi's Diwan, explained by Abd al-Rahman al-Barqouqi, Al-Istiqama Press, Cairo, second edition, 1938 AD.

(٢٠The Artistic Image in the Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs, Jaber Asfour, The Arab Cultural Center, Beirut, 3rd edition, 1992 AD.

(٢١The effectiveness of antagonistic dichotomies in thematic formation in the lamentation of the Andalusian cities, an abstract research, Razia Kazem Abdul-Jubouri, Karbala Scientific University, Volume 13, Number 2, 2015 AD.

(٢٢In Pre-Islamic Literature, Taha Hussein, Farouk Press, Egypt, 3rd edition, Cairo, 1933 AD.

(٢٣The moral value in Arabic rhetoric, Saeed Mansour, Qar Younis Publications, Benghazi, 1st edition, 1991 AD.

(٢٤Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali Abu al-Fadl, Jamal al-Din bin Manzoor al-Ansari al-Afriqi, (d. 711 AH), Dar Sader Beirut, 2nd edition, 1414 AH.

(٢٥Glimpses in Narrative Poetry in Arabic Literature, d. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Al-Jahiz Publishing House, Baghdad (Dr.), 1980 AD.

(٢٦Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Abu Ali al-Fadl ibn Hassan al-Tabarsi (d. 548 AH), Dar al-Uloom for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2006 AD.

(٢٧Levels of artistic performance in the poetry of Ibn al-Khayyat al-Dimashqi (517 AH), Muhannad Hamad Shabib al-Fahdawi, master's thesis, College of Education, Anbar University, 1999 AD.

(٢٨Manifestations of moral and literary generosity in Abbasid poetry, d. Abdul Khaleq Issa, An-Najah National University, Palestine.

(٢٩Aspects of Cultural and Social Life in the Pre-Islamic Era in the Book of Favorites, Maher Ahmed Ali Al-Mubaideen, Mutah Journal for Research and Studies, Mutah University, Volume 22, Number 1, 2007.

(٣٠Manifestations of Cultural and Social Life in the Pre-Islamic Era, Book of Favorites, Maher Ahmed Ali Al-Mubaideen, Mutah Journal for Research and Studies, Mutah University, Volume 22, Number 1, 2003 AD.

(٣١The Dictionary of Definitions, by the scholar Ali bin Muhammad al-Sayyid al-Sharif al-Jurjani (816 AH), investigation by Muhammad Siddiq al-Minshawi, Dar al-Fadila, Cairo, Dr. I, Dr. T.

(٣٢Modern literary criticism, d. Muhammad Ghoneimi Hilal, Dar Al-Nahda Egypt for Printing and Publishing, (Dr. I), 1997 AD.

(٣٣Obsession with immortality in Arabic poetry until the end of the Umayyad era, d. Abd al-Razzaq Khalifa al-Dulaimi, House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 2001.

(٣٤The function of the poetic image and its role in literary work, d. Ali Muhammad Al-Kharabsheh, Journal of Arts, Iraqi Scientific Academic Journals, Issue 110, 2014.